

تساؤلات حول القرآن

بقلم
القمص زكريا بطرس

الناشر : www.fatherzakaria.com

مقدمة

هذا الكتاب الذي بين يديك (تساؤلات حول القرآن) هو الكتاب رقم (١٤) في سلسلة "حوار الأديان" وموضوعه: التساؤل عن إعجاز القرآن اللغوي والعلمي الذي يدعيه البعض، وإيضاح أن هذا الادعاء غير صحيح بالمرّة. وستجد في هذا الكتاب الأدلة على ذلك.

والواقع أنني لم أورد كل مافي القرآن من أخطاء نحوية أو علمية، الأمر الذي سوف نقدمه في الكتب المقبلة بمعونة الله.

وينبغي أن يدرك القارئ أننا بفكر متحرر ومنطق سليم نناقش هذه الأمور، ويسعدنا أن نصغي لمن يرد على هذه التساؤلات.

وما يشجعنا على هذا الحوار هو تصريح أحد الشيوخ الأفاضل الذي أعلن في مؤتمر بالأزهر الشريف أنه يجب محاكمة نصوص الكتب المقدسة بما فيها القرآن الكريم. (جريدة الأهرام بتاريخ ١١ مايو ٢٠٠٢م)

أتركك لتبدأ رحلتك بين دفتي هذا الكتاب، وأصلي لأجلك أن يشرق الرب بنوره في أعماقك، آمين. وإلى اللقاء.

أولاً الإعجاز اللغوي في القرآن

- ١- رفع اسم إن.
- ٢- نصب الفاعل.
- ٣- نصب المعطوف على المرفوع.

أولاً: الإعجاز اللغوي في القرآن

الإعجاز اللغوي للقرآن هو الإعجاز الرئيسي للقرآن كما يتضح من قول الدكتور زغلول النجار في كتابه "من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم" (الجزء الأول ص ٣٣) وهو عبارة عن حوار مع أحمد فراج، بالتليفزيون المصري عرض سنة ٢٠٠٠ و ٢٠٠١م قال:

[كل نبي وكل رسول قد أوتي من الكرامات ومن المعجزات ما يشهد له بالنبوة أو بالرسالة، وكانت تلك المعجزات مما تميز فيه أهل عصره].

١- فسيدنا موسى عليه السلام جاء في زمن كان السحر قد بلغ فيه شأواً عظيماً، فأعطاه الله تعالى من العلم ما أبطل به سحر السحرة.

٢- وسيدنا عيسى عليه السلام جاء في زمن كان الطب قد بلغ فيه مبلغاً عظيماً، فأعطاه الله تعالى من العلم ما تفوق به على طب أطباء عصره.

٣- وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جاء في زمن كانت الميزة الرئيسية لأهل الجزيرة العربية فيه هي الفصاحة والبلاغة وحسن البيان. فجاء القرآن يتحدى العرب - وهم في هذه القمة من الفصاحة والبلاغة وحسن البيان - أن يأتوا بقرآن مثله]

فبخصوص إعجاز القرآن اللغوي نريد أن نتساءل عن بعض الآيات وما ذكر فيها من قواعد تتناقض مع قواعد اللغة العربية .

{ ١ }

رفع اسم إن

أ- في (سورة التوبة ٢٠ : ٦٣) "قالوا إن هذان

لساحران"

١- كلنا يعرف أبسط قواعد النحو أن: اسم إن منصوب، وفي هذه الآية يجب أن ينصب بالياء والنون لأنه مثنى، فيكون التركيب الصحيح: "إن هذين"، ولكننا نجده مرفوعاً بالالف والنون [إن هذان ...]

٢- وقد علق الإمام النسفي على ذلك قائلاً: [قرأ أبو عمر "إن هذين لساحران"] وهو ظاهر، ولكنه مخالف للإمام (أي المصحف الإمام، وهو مصحف عثمان رضي الله عنه حيث وردت إن هذان) {النسفي الجزء الثالث ص ٩٠}

٣- وقالت السيدة عائشة أم المؤمنين عندما سئلت عن ذلك: "يا ابن أختي، هذا من عمل الكُتّاب، أخطأوا في الكتابة"

ونحن نتساءل: أين هو الإعجاز اللغوي أمام هذا الخطأ في قواعد اللغة؟!؟

ب- في سورة المائدة ٥ : ٦٩ "إن الذين آمنوا والذين هادوا **والصابئون** والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون"

١- **الصابئون** هنا: اسم مرفوع بالواو والنون، في حين أنه يجب أن يكون منصوباً بالياء والنون، "أي **الصابئين**"، لأنه معطوف على منصوب لكونه إسم إن، ومما يزيد المشكلة تعقيداً أنه ورد كذلك منصوباً صحيحاً في:

٢- (سورة البقرة ٢: ٦٢) فقد وردت نفس الآية وفيها **الصابئين** منصوبة، "إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون"

٣- قالت السيدة عائشة أم المؤمنين عندما سُئِلت عن ذلك "يا ابن أختي، هذا من عمل الكتاب، **أخطأوا في الكتابة**" (السجستاني: كتاب المصاحف ص ٤٣)

ونحن نكرر نفس التساؤل: أين هو الإعجاز اللغوي أمام هذا الخطأ في قواعد اللغة؟!؟

٤- هذا من جانب اللغة ولكن هناك أيضاً تساؤل ديني بخصوص **الصابئين** أنفسهم.
+ فكيف يقول القرآن أن: لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.
+ وهم قوم خارجون عن الأديان ويعبدون الملائكة كما ذكر الإمام النسفي قائلاً: [**الصابئون**: من "صبأ" إذا خرج من الدين، وهم قوم خرجوا من دين اليهودية والنصرانية و**عبدوا الملائكة**] (تفسير النسفي الجزء الأول ص ٩٥)

+ وقد جاء عنهم في **المعجم الوسيط** لمجمع اللغة العربية: [**الصابئون**: قوم يعبدون الكواكب ويزعمون أنهم على ملة نوح، وقبلتهم مهب الشمال عند منتصف النهار] (المعجم الوسيط الجزء الأول ص ٥٠٥) عجباً إذ يقول القرآن الكريم: لا خوف عليهم ولا هم يحزنون!!!

أتكلم عن القرآن بكل احترام حتى أنني أقول دائماً: "القرآن الكريم" ولكنك قد تظن أنني بكلامي الآن أطعن في القرآن الكريم، وأشكك في صحته وفي وحيه، مما قد تعتبره إساءة إلى الإسلام والمسلمين.

وإنني أعجب يا أخي ممن يتصور ذلك، ويردد مثل هذا الكلام. هل تقديم مثل هذا السؤال يعتبر طعناً في المقدسات الإسلامية؟ فلماذا استبحت لنفسك ولغيرك من أختوتنا المسلمين أن تسألوا مثل هذه الأسئلة عن الكتاب المقدس والمقدسات المسيحية، فهل كانت طعناً وتشكيكاً في المسيحية، لقد قال البعض بالنص: إنجيلكم محرف. ورغم ذلك أخذنا الموضوع بمحبة وموضوعية، دون أن نعتبر ذلك تهجماً على مقدساتنا، وأجبتنا على اعتراضاتكم كما لو كانت أسئلة تحتاج إلى تبيان.

فدعنا يا أخي من التعصب الأعمى، ولنفتح أذهاننا للفهم والمعرفة، حتى يستطيع كل واحد أن يكون مستعداً لمجابهة كل من يسأله عن الرجاء الذي فيه. هكذا يأمرنا كتابنا المقدس.

والواقع يا عزيزي أنه إن لم يستطع الإنسان أن يجد حلولاً لمعضلات دينه فكيف سيقف أمام الله ليجاوب عن صدق معتقداته. ففي ذلك اليوم الذي يعطي فيه الإنسان حساباً عن نفسه، لن يشفع له أن يقول: هكذا أنا نشأت وولدت في هذا الدين أو غيره. لأن الله يسمح للإنسان في فترة من عمره أن يشك في كل شيء، حتى يكون مسئولاً عن قراراته المبنية على اقتناعاته الشخصية. فلا يخدع أحد منا نفسه مسيحياً كان أو مسلماً، أن يكتفي بالدين الوراثي، بل عليه أن يفحص ويمحص، ويسأل ويبحث، حتى يجد بنفسه ما يقنعه ويشبعه، فهو المسئول عن نفسه وسوف لا يحاكم أحد عن الآخر، فوالداك، ومعلموك، ومرشدوك، وأياً كان ... لن يكونوا مسئولين عنك، فلا

تستطيع أن تبرر موقفك يوم الدين بمثل هذه الأعذار، بأنك اتبعت دين أسلافك. يا عزيزي لا تعطي عقلك أجازة ولا تضع رأسك في الرمال كالنعامة الساذجة، لتهرب من الصياد. أقول هذا الكلام لكل مسيحي ومسلم ويهودي ووثني، وأتباع أي دين في العالم.

ثم يا عزيزي إن الكتاب الحق لا خوف عليه من الأسئلة وبل ولاحتي من الانتقادات.

{٢} نصب الفاعل (لاينال عهدي الظالمين)

تحدثنا في الجزء السابق عن الإعجاز اللغوي بالقرآن وتعرضت لبعض الآيات، فهل هناك آيات أخرى؟

بالتأكيد يوجد الكثير ولكننا نريد في كل قسم أن نأخذ مثالين أو ثلاثة فقط، حتى لا يكون كتابنا حصة في قواعد النحو العربي، فأنا أعلم أن كثيرين لا يدركون هذه القواعد النحوية الكثيرة، لهذا فإني أنتقي مجرد الأمور البسيطة التي يستطيع أن يدركها عامة الناس. أما الآيات القرآنية الأخرى فأرجئها، للحديث عنها مع المختصين في اللغة على انفراد.

كلمة "الظالمين": كان يجب أن تكون "الظالمون" فهي جمع مذكر سالم مرفوع بالواو والنون لأنه فاعل الفعل "ينال". فكيف جاءت منصوبة بالياء والنون؟؟؟!!

وقد حاول المفسرون تعليل ذلك بطرق غير مقنعة لأنها تلوى الحقائق، فمثلا قال الإمام **النسفي**: معنى الآية أنه "لا يصيب عهدي أي الإمامة أهل الظلم" فجعل "عهدي" فاعل، لتكون الظالمين هي المفعول المنصوب بالياء والنون. ونسي الإمام العظيم أن فعل "ينال" (كما جاء في المعجم الوسيط معناه أن الإنسان هو الذي ينال الشيء، إذ يقول [نال الشيء أي حصل عليه جز ٢ ص ٩٦٤] وليس الشيء هو الذي ينال الإنسان!!!! فمثلا لا يمكن أن نقول: "نالت الجائزة المجتهدين"! بل الصحيح أن نقول: "نال المجتهدون الجائزة" فكيف أن العهد (وهو شيء) ينال الظالم وهو إنسان. هذا كلام غير مقنع، ونحن نريد أن نفهم رداً منطقياً مقنعاً.

{٣} نصب المعطوف على المرفوع

(أ) (سورة النساء ٤ : ١٦٢)
"...والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك،
والمقيمين الصلاة، والمؤتون الزكاة، والمؤمنون بالله
واليوم الآخر، أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً"

١- كان يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع: والمرفوع في الآية: المؤمنون، والمؤتون الزكاة، والمؤمنون بالله. فلماذا يستثنى "المقيمين الصلاة" في منتصف الجملة، إذ كان يجب أن يقول: "والمقيمون الصلاة"!!

٢- ماذا قال السجستاني عن هذه الآية في كتابه (المصاحف ص ٣٣) قال: "حدثنا عبد الله ... حدثنا يزيد قال: أخبرنا حماد عن الزبير أبي خالد قال: قلت لأبان بن عثمان كيف صارت (سورة البقرة آية ١٦٢) [والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، والمقيمين الصلاة، والمؤتون الزكاة، والمؤمنون بالله واليوم الآخر] فإن ما قبلها وما بعدها مرفوع، أما هي فجاءت منصوبة؟ قال: كتب ذلك بواسطة الكتاب. فقال له وأنا ماذا أكتب؟ قال له: اكتب "المقيمين" فكتبت ما قيل لي!!!"

٣- وقال أيضا السجستاني حدثنا عبد الله عن أبي معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه قال: سألت عائشة لغة القرآن عن قوله: "والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة" فقالت: "يا ابن أختي، هذا من عمل الكتاب، أخطأوا في الكتابة" (السجستاني: كتاب المصاحف ص ٣٤)

(ب) (سورة البقرة ٢ : ١٧٧)
"ولكن البر من آمن بالله ... والموفون بعهدهم إذا عاهدوا،
والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ..."

+ كلمة "الصابرين": الواقع أنه كان يجب أن تأتي مرفوعة، فيقول "والصابرون" لأنها معطوفة على "الموفون". وبالرجوع إلى التفسير المختلفة نجد كلاماً يثير الضحك! فمثلاً الإمام النسفي يقول: "الموفون" مرفوعة لأنها معطوفة على مرفوع وهو "من آمن" وإلى هنا لا خلاف، ثم يحاول أن يعلل نصب الصابرين فيقول: نصبت على المدح!!! (الجزء الأول ص ١٤٨) ونقول لماذا لم تسري هذه القاعدة على كلمة "الموفون" أليس فيها مدح مثل الصابرين؟؟ وفي كلا الحالتين يكون هناك خطأ. إذ يجب أن تعرب الكلمتين إعراباً واحداً (لأنهما معطوف ومعطوف عليه) إما أن ترفعا معا أو تنصبا معا على المدح والاختصاص !!! (النسفي الجزء الأول ص ١٤٨)

والواقع أن تعليل الإمام النسفي هو ذاته جاء من قبيل النصب على البسطاء!!! سامحه الله! إلى هذه الدرجة يتم الاستخفاف بعقول الناس، وإذا احتج أحد على هذه الأضحوكات يرمونه بالكفر والزندقة. أقول لأولئك الذين يحجرون على حرية التفكير ارفعوا الوصاية، وحاولوا أن تردوا بمنطق مقبول، فالعالم قد تغير، وأصبح كل إنسان منفتحاً على نسيم الحرية، ولن يجدي حد السيف للبطش بالمفكرين فيما بعد. فأجيبونا بمنطق سليم أفادكم الله، فها نحن نطرح تساؤلاتنا التي هي بالتأكيد موضوع تساؤل الكثيرين من إخواننا المسلمين أيضاً. فما هو رأي إخواننا المحبوبين المتفهمين في الدين؟؟؟؟

ثانياً

الإعجاز العلمي في القرآن

- ١ - مغيب الشمس في عين حمئة.
- ٢ - خلقة الإنسان من نطفة.
- ٣ - رواسي في الأرض.
- ٤ - قصة الخلق.

قرأنا الكثير من الكتب عن إعجاز القرآن اللغوي أو البياني، والإعجاز العلمي والإعجاز الفلسفي، وإعجازه في الهدى وغيرها، ونريد أن نسأل بعض الأسئلة بخصوص إعجاز القرآن العلمي.

{١} عن مغيب الشمس في عين حمئة

(سورة الكهف ١٨ : ٨٣-٨٦)

"ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً إنا مكنّا له في الأرض وأتيناه من كل شيء سبباً فاتّبع سبباً حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً"

ويقول الإمام البيضاوي: [إن اليهود سألو محمداً عن أسكندر الأكبر، فقال إن الله مكن له في الأرض، فسار إلى المكان الذي تغرب فيه الشمس، فوجدها تغرب في بئر حمئة، وحول البئر قوم يعبدون الأوثان! ...] وقال البيضاوي: [إن ابن عباس سمع معاوية يقرأ "حامية" فقال: "حمئة" فبعث معاوية إلى كعب الأحبار: كيف تجد الشمس تغرب؟ قال: في ماء وطين] (وانظر أيضاً تفسير الإمام النسفي الجزء الثالث ص ٤٠ و ٤١)

(١) نحن نسأل: هل هذا صحيح، أن الشمس تغرب في عين حمئة أي بئر من الماء والطين؟ خاصة إذا نظرنا إلى:
أ- الحقيقة العلمية الأكيدة بأن الأرض تدور حول الشمس، وليس أن الشمس تسقط في بئر من الماء والطين.
ب - هل يمكن للشمس التي يقول العلم الحديث الثابت بأنها أكبر من الأرض مليوناً وثلاثين ألف مرة أن تغرب في بئر من الطين، ما سعة هذه البئر المهولة وأين نجدها؟؟!!

(٢) قد يقول قائل: إن غروب الشمس في عين حمئة هو بحسب ما يبدو لعيان الناظر إلى حركة الشمس في الأفق. فالشمس تتحرك من الشرق إلى الغرب، ويبدو للناظر أنها تغرب في المحيط، وهذه إجابة مقنعة على تساؤلك.

الرد:

١- إن كان الأمر يتعلق برؤية الإنسان وتخمينه الخاطئ علمياً، إذن فلن يكون ذلك الأمر من إعجاز القرآن، بل من ظنون الإنسان.
٢- ولكن الأمر المذكور في القرآن لا يحتمل التأويل بهذا المعنى، بل يؤكد أن الاسكندر الأكبر ذهب بنفسه ورأى ذلك بأم عينه!!
وهذا الأمر يؤدي إلى الحرج الشديد!!

{٢}

عن خلقه الإنسان من نطفة

قال أحدهم: القرآن الكريم في إعجازه العلمي هو أول كتاب يتكلم عن خلقه الإنسان وأطوار الجنين في بطن أمه. وقد ذكر ذلك في آيات عديدة منها.

١- [سورة المؤمنون ٢٣: ١٢ - ١٤] "ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة [المني أي الحيوان المنوي] في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة (قطعة الدم التي يتكون منها الجنين) فخلقنا العلقة مضغة [قطعة من اللحم] فخلقنا المضغة عظما فكسونا العظم لحما ثم أنشأناه خلقا آخر..."

٢- [سورة النحل ١٦: ٤] "خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين"

٣- [سورة الحج ٢٢: ٥] "... فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقةً لم يبين لكم، ونُفِر في الأرحام ما نشاء، إلى أجل مسمى، ثم نخرجكم طفلا، ثم لتبلغوا أشدكم .."

٤- [سورة القيامة ٧٥: ٣٧] "ألم يك نطفة من مِيٍّ يُمْنَى"

الرد:

والواقع يا عزيزي أن القرآن ليس أول من ذكر أطوار خلقه الإنسان، وإليك الحقيقة:

أولاً: من الكتاب المقدس:

١- (في سفر أيوب ١٠: ٨-١٢) "يداك كونتاني وصنعتاني كلي ... إنك جبلتني كالطين ... ألم تَصُبَّنِي كاللبن [السائل المنوي]، وخثرتني كالجبين [أي صار كياني مثل قطعة الجبن]، كسوتني جلدا ولحما، فنسجتني بعظام وعصب، منحتني حياة ورحمة، وحفظت عنايتك روعي". وللمعلومية: كُتِبَ سفر أيوب بما يزيد عن [٢٠٠٠] ألفين سنة قبل الميلاد أي قبل الإسلام بما يزيد عن ٢٦٠٠ سنة.

٢- (مز ١٣٩: ١٣-١٦) "... نسجتني في بطن أمي، أحمدك لأنك صنعتني بإعجازك المدهش، لم تختفِ عنك عظامي حينما صنعت في الرحم، أبدعتني هناك في الخفاء رأيتي عيناك علقةً و جنينا وقبل أن تخلق أعضائي كُتِبَتْ في سفرِكَ يوم صورتها" {كُتِبَتْ المزامير بما يزيد عن ٥٠٠ سنة قبل الميلاد أي قبل الإسلام بما يزيد عن ١١٠٠ سنة}

ثانياً: من علم الطب:

(الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٩ و ١٥٠) [تشير الآثار على نشوء مهنة الطب لدى السومريين والبابليين (قبل الميلاد ببضعة قرون). وقد أحرزت المدنيات القديمة في الصين، والهند، ومصر، وفارس درجات متفاوتة في التقدم في المعلومات التشريحية ... كما وجدت بردية بالفيوم تحتوي على معلومات في الطب التشريحي، وفيها جزء خاص بأمراض النساء والحمل ... يرجع تاريخها إلى حوالي سنة ١٨٠٠ ق.م (أي ما يزيد عن ٢٤٠٠ سنة قبل الإسلام) ... وتحتوي على وصف لأجزاء الجسم. وقد ساهم العرب على وجه ملحوظ في علم الطب ... فترجموا الكتب المصرية واليونانية القديمة ... في الطب]

ألا ترى معي أن الإسلام لم يأت بجديد، بل أخذ عن الكتاب المقدس ما قاله قبل القرآن بما يزيد عن ٢٦٠٠ سنة !!؟؟

ثالثاً: هل الألفاظ التي ذكرها القرآن [النطفة والعلق والمضغة] كانت موجودة في لغة العرب ولها مدلولاتها قبل القرآن أم أن القرآن استحدث هذه الكلمات؟

فإن قلنا أنها لم تكن موجودة قبل القرآن، يكون القرآن غريباً، وليس لساناً عربياً مبيناً كما جاء في السور التالية:

١- (النحل ١٦: ١٠٣) "... وهذا لسان عربي مبين" وفسر ذلك الإمام النسفي قائلا: [هذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة ... واللسان اللغة] [النسفي جزء ٢ ص ٤٣٣]

٢- (إبراهيم ١٤: ٤) "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ..." ويقول الإمام النسفي: [بلسان قومه أي بلغتهم ... فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولون له: لم نفهم ما خاطبنا به] (النسفي جزء ٢ ص ٣٦٦)

وعلى الجانب الآخر إن نحن اعترفنا أن هذه الألفاظ كانت موجودة قبل القرآن، فأين إذن الإعجاز في القرآن وهو يتكلم عن أمور كانت معروفة من قبله!!!

من كل هذا نرى أن من يقول بإعجاز القرآن شخص يجهل ما جاء بالكتاب المقدس، كما يجهل علم الآثار وما كتب عن الطب وتشريح جسم الإنسان منذ الحضارات القديمة التي سبقت الإسلام بألاف السنين.

{٣} وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بكم جاء في: (سورة لقمان ٣١: ١٠)

"خلق السماوات بغير عمدٍ ترونها، وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم" وأيضاً في سورة الرعد ١٣: ٣، وفي سورة الحجر ١٥: ١٩، وفي سورة النحل ١٦: ١٥، وفي سورة الأنبياء ٢١: ٣١ "وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم ..."

١- قال الإمام النسفي تعليقا على سورة الرعد: [وهو الذي مد الأرض = أي بسطها]

٢- وقال الإمام البيضاوي تعليقا على سورة النحل: [وألقى في الأرض رواسي، أن تميد بكم، أي كراهة أن تميل بكم وتضطرب، لأن الأرض قبل أن تخلق فيها الجبال، كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع، وكان من خفتها أن تتحرك بالاستدارة كالأفلاك، أو أن تتحرك بأدنى سبب للتحريك، فلما خلقت الجبال على وجهها، تفاوتت جوانبها، وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز، فصارت الأوتاد التي تمنعها عن الحركة].

التساؤل:

(١) كيف أن الجبال هي التي تجعل الأرض ثابتة لا تتحرك؟ ألم يثبت العلم أن الأرض دائمة الحركة، تدور حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة فيحدث الليل والنهار، وتدور حول الشمس مرة كل سنة وتحديث الفصول الأربعة؟؟

(٢) كيف أن الجبال هي التي تحفظ الأرض من أن تميد وتضطرب؟ فماذا بعد تقجير الجبال في السد العالي، وانفاق جبال الألب ... وغيرها من الجبال في كل دول العالم؟ لماذا لم تمد الأرض بنا؟؟

أسئلة تحتاج إلى إيضاح، حتى نستطيع أن نرد على السائلين، ونقف جميعا على أرض مشتركة.

{٤} قصة الخلق

قرأت كتاب (من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) للدكتور زغلول النجار، وهو أستاذ علوم الأرض بعدد من الجامعات العربية والغربية، وزميل الأكاديمية الإسلامية للعلوم وعضو مجلس إدارتها، ومدير معهد مارك فيلد للدراسات العليا بالمملكة المتحدة.

والكتاب عبارة عن تسجيل لحوارات بينه وبين الأستاذ أحمد فراج في برنامج "نور على نور" عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠١م

وقد جاء بالكتاب (ص ٣٧) قول الدكتور النجار عن الإعجاز العلمي للقرآن تحت عنوان "الآيات الكونية" أن: "قضية خلق السموات والأرض التي يتحدث عنها القرآن الكريم في ست آيات محدودة، تحكي قصة الخلق والإفناء، وإعادة الخلق بالكامل في إجمال وشمول ودقة مذهلة على النحو التالي:

- ١- "فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسام لو تعلمون عظيم" (الواقعة ٧٥ و٧٦)
- ٢- "والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون" (الذاريات ٤٧)
- ٣- "أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففلقناهما" (الأنبياء ٣٠)
- ٤- "ثم استوى إلى السماء وهي دخان... (فصلت ١)
- ٥- "يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب، كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين" (الأنبياء ١٠٤)
- ٦- "يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات" (إبراهيم ٤٨)

ويلق الدكتور النجار على ذلك قائلاً: [قصة خلق الكون يجمعها القرآن الكريم بدقة متناهية في ست آيات تلخص خلق الكون، وإفناؤه، وإعادة خلقه من جديد في إجمال ودقة وإحاطة معجزة للغاية، لم يستطع الإنسان أن يصل إلى تصور شيء منها حتى أواخر القرن العشرين] كتاب (من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص ٤٥)

وإني لأعجب كل العجب من كلام عالم يُفترض فيه الأمانة العلمية في البحث، والتدقيق في التعبير. فكيف يعمم هذا الدكتور العالم أنه: لم يستطع الإنسان أن يصل إلى تصور شيء منها حتى أواخر القرن العشرين!!!

لماذا لم يبحث في الكتاب المقدس، وفي تاريخ علم الفلك، وهو الباحث الحاصل على درجة الدكتوراه، التي تقرر بأنه قد وضع قدمه على سلم البحث العلمي الموثوق به. أين هي الثقة التي أولتها له الجامعة التي حصل منها على هذه الدرجة العلمية. هل عدم بحثه في الكتاب المقدس وكتب الفلك، ناتج عن الجهل بهما؟ إن كان كذلك فهذه مصيبة!!! وإن كان عدم بحثه فيهما ناتج عن تجاهلهما، فهذه كارثة!!!

ماذا يفعل هذا العالم الجليل عندما يكتشف سامعوه وقارؤوا كتيه، الحقيقة التي تعمد إخفاءها عنهم، فيجدوها واضحة جلية في الكتاب المقدس الذي كُتب قبل الإسلام بآلاف السنين، وتحدثت عنها كتب علم الفلك التي تعود إلى الحضارات الموهلة في القدم أي قبل الإسلام بآلاف السنين أيضاً؟؟؟؟

لذلك دعنا نناقش هذه الآيات القرآنية على ضوء ما جاء بالكتاب المقدس وعلم الفلك القديم.

الآية الأولى:

"فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسّم لو تعلمون عظيم"

(الواقعة ٧٥ و ٧٦)

يعلق الدكتور النجار على هذه الآية تعليقين، إذ يقول:

١- "يعجب الإنسان من القسم المغلظ بمواقع النجوم، والنجوم من أعظم خلق الله في الكون" (من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص ٣٨)

وعن هذا يقول سيادته: [قصة خلق الكون يجمعها القرآن الكريم بدقة متناهية في ست آيات تلخص خلق الكون، وإفناؤه، وإعادة خلقه من جديد في إجمال ودقة وإحاطة معجزة للغاية، لم يستطع الإنسان أن يصل إلى تصور شيء منها حتى أواخر القرن العشرين] كتاب (من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص ٤٥)

الإيضاح:

ينقسم ردنا على كلامه بخصوص هذه الآية إلى أربعة أقسام:

- ١- قصة خلق الكون.
- ٢- النجوم والكواكب.
- ٣- لماذا أقسم الله بمواقع النجوم؟
- ٤- رؤية مواقع النجوم، لا النجوم ذاتها.

القسم الأول: قصة خلق الكون:

قصة خلق الكون التي يقول عنها سيادته: لم يستطع الإنسان أن يصل إلى تصور شيء منها حتى أواخر القرن العشرين] ويقول عنها: [قصة خلق الكون يجمعها القرآن الكريم بدقة متناهية في ست آيات تلخص خلق الكون [...]

أقول لسيادته هل قرأت قصة الخلق في أكثر دقة وسلاسة في سفر التكوين الذي كتب قبل الإسلام بحوالي ٢٠٠٠ سنة؟ اسمع ما يقوله الكتاب المقدس في أول صفحة منه، أي في الإصحاح الأول من سفر التكوين: "في البدء خلق الله السموات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه... وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون آيات وأوقات وأيام وسنين. وتكون أنواراً في جلد السماء لتتبر على الأرض. وكان كذلك. فعمل الله النورين العظيمين. النور الأكبر لحكم النهار، والأصغر لحكم الليل. والنجوم جعلها الله في جلد السماء لتتبر على الأرض، ولتحكم على النهار والليل، ولتفصل بين النور والظلمة" (سفر التكوين إصحاح ١ : ١-١٩)

هل وجدت يا عزيزي، دقة وسلاسة نظير هذا الكلام. أرجوك أن تقرأ الكتاب المقدس، أي التوراة والإنجيل لتستزيد علماً، وأعيد عليك قول رسولك عنهما: "قل فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه" (سورة القصص ٢٨: ٤٩)

القسم الثاني: النجوم والكواكب:

النجوم المذكورة بكل دقة في الكتاب المقدس. ففي سفر أيوب الذي كُتب قبل الإسلام بحوالي ٢٦٠٠ سنة نجد ذكراً لأسماء كثير من النجوم والكواكب لم يذكر القرآن الكريم - مع احترامنا له - شيئاً نظيرها:

+ ففي (أيوب ٩: ٧-٩) يقول: "الأمر الشمس ... و (الذي) يختم على النجوم. الباسط السموات وحده ... صانع النعش والجبار والثريا ومخادع الجنوب" (وهي أسماء ومواقع لبعض النجوم)

+ وفي (أيوب ٣٨: ٣١ و ٣٢) يقول الله لأيوب النبي ليظهر ضعفه: "هل تربط أنت عُقْدَ الثَّريَّا أو تفك رُبُطَ الجَبَّار، أُنْخَرِجُ المَنَازِلَ في أوقاتها، وتَهْدِي النُّعْشَ مع بَنَاتِهِ، هل عرفت سُنْنَ (أي قوانين) السموات أو جعلت تسلطها (أي تحكمها) على الأرض؟" (وذلك أيضا أسماء ومواقع لبعض النجوم تتوافق مع المعروف في علم الفلك) ولكن دعنا نناقش ذلك بأكثر تدقيق:

(١) ما هو عُقْدُ الثَّريَّا؟

١- عُقْدُ: مجموعة منتظمة من النجوم كالعقد.
٢- أما الثَّريَّا: فيقول عنها (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٤) : [الثَّريَّا إسم مجموعة من النجوم، وموقعها في عنق برج الثور، وتظهر في أوائل الربيع. كما أنه يمكن رؤية ستة أو سبعة من نجومها بالعين المجردة ... ولقد كان العبرانيون الأول والساميون عامة (أي من قديم الزمن) يعنون عناية خاصة بدراسة الفلك]

وهذا الكلام يتفق تماما مع العلم الحديث الذي قال عن الثَّريَّا: [هي عنقود في كوكبة الثور يحتوي على بضعة مئات من النجوم أبعادها ٣٢٥ إلى ٣٥٠ سنة ضوئية، ولكن يظهر منها للعين ستة فقط، أطلق عليها اسم الشقيقات السبع... وكانت قديما أكثر لمعانا بحيث أنها كانت تبدو للعين المجردة] (الموسوعة العربية الميسرة ص ٥٧٩)

(٢) ما هو الجبار؟ جاء في سفر أيوب من الكتاب المقدس (٣٨: ٣١) "أو تفك رُبُطَ الجَبَّار" وأيضا في سفر (عاموس ٥: ٨) "الذي صنع الثَّريَّا والجبار"

جاء في (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٤٥) [الجبار اسم لأحد الأبراج "أوريون" وهو مجموعة من الكواكب تحتوي على ١٠٠٠ كوكب ويرى بالتلسكوب ... ويشبه الجبار بإنسان عظيم القوة ... وترى هذه المجموعة بقرب (الدب الأكبر)]

وهذا يتفق مع ما جاء (بالموسوعة العربية الميسرة ٦١٠) [الجبار كوكبة يمثلها الأقدمون بصورة محارب، وتحتوي على سبعة نجوم براقّة ...]

(٣) أما عن المنازل التي قيل عنها في أيوب "أُخْرِجُ المَنَازِلَ؟" المنازل هي البروج، فالبرج في اللغة هو المنزل المبني على الحصن (المعجم الوسيط الجزء الأول ص ٤٧)

وجاء عنها في (قاموس الكتاب المقدس ص ٩٦٨) : [المنازل هي الكواكب الإثني عشر، وكان القدماء الوثنيون يعبدونها، حتى يهود القدس أنفسهم عبدوها زمن الملك يوشيا الذي أبطل عبادتها (٢مل ٢٣: ٥)]

وقد جاء عنها (بالموسوعة العربية الميسرة ص ١٥٠٧) [هذه الكواكب الإثني عشر موجودة حول دائرة البروج (الكواكب البروجية)]

(٤) وماذا عن النعش المذكور في (أيوب ٩: ٩) "صانع النعش والجبار والثَّريَّا" وفي (أيوب ٣٨: ٣١) "وتهدي النعش مع بناته؟"

وجاء عنها في (قاموس الكتاب المقدس ص ٩٧٢) [النعش كوكب كبير ذات نور قوي أسماه اليونان والرومان الدب الأكبر]

وجاء عنها في (الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٨٢) [الدب الأكبر كوكبة شمالية ... أطلق عليها أسماء قديمة، مثل المحراث، والعربة (أي النعش) ...]

(٥) وبناته (أي بنات النعش) تقول (الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٨٢): [ويظهر مع كوكبة الدب الأكبر (النعش) أربعة نجوم تمثل المغرفة، وثلاثة تمثل اليد ...]

(٦) وماذا عن "مخادع الجنوب": هي كواكب الجنوب، فبعد أن ذكر كواكب ونجوم الشمال ذكر أيضا بقية كواكب السماء في الجنوب.

ثم إلى جوار ما أعلنه الكتاب المقدس منذ آلاف السنين كما أوضحنا، هل يعلم سيادة الدكتور العالم أن علم الفلك ودراسة الأجرام السماوية شغلت عقول الناس منذ أقدم العصور وبلغوا فيها شأوا عظيما وسبروا أغوار عميقة في معرفة أسرار الكون، فليسمع الحقائق التالية:

١- **عن النجوم:** يذكر (قاموس الكتاب المقدس ص ٩٥٨) ما يلي: [استرعت النجوم انتباه الإنسان الشرقي منذ العصور الغابرة (أي من آلاف السنين) (تك ٢٢: ١٧) ومن هنا قام علم الفلك الذي ازدهر ازدهارا عظيما في حضارات ما بين النهرين (القرن الرابع قبل الميلاد) وتأثرت به باقي حضارات الشرق.]

+ ويذكر أيضا (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٤) "لقد كان العبرانيون الأول والساميون عامة (أي من القرن الخامس قبل الميلاد) يعنون عناية خاصة بدراسة الفلك] وهذا واضح من قول أشعيا النبي: " ليقف راصدوا الأفلاك، الناظرون في نجوم السماء المنبئون عند رأس كل شهر " (أش ٤٧: ١٣)

أولا يدري سيادته ما جاء في (الموسوعة العربية الميسرة ص ١٣١١) عن **علم الفلك** وقدم أيامه (أي أنه يعود إلى آلاف السنين) إذ تقول هذه الموسوعة: [علم الفلك هو علم دراسة الأجرام السماوية ... وتكشف آثار بابل والصين والهند (الحضارات القديمة من آلاف السنين قبل الميلاد) معرفة فلكية، وكان الفلك عند قدماء المصريين تطبيقيا لعمل الخرائط النجومية، وصنع الآلات لرصد النجوم وتسميتها بأسماء خاصة. وقد عرفوا النظر في النجوم منذ أبعد عهدهم بحياة الاستقرار (أي قبل الميلاد بآلاف السنين) ... فرصدوا جري القمر، وجري الشمس ... والمصريون القدماء عرفوا كسوف الشمس وخسوف القمر وسجلوا بعض أحداث السماء، كظهور جرم في جنوب السماء ذي ذنب طويل ... وعرفوا بروج القمر، والنجوم الزهر، والنجوم الخنس (زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد [المعجم الوسيط ص ٢٥٩])، وتركوا لنا في قبر سيتي الأول (١٢٩٠ ق م) خريطة فلكية، وفي معبد دندرة دائرة فلكية .. إن معرفة قدماء المصريين بالفلك لم تكن ضئيلة.

[وتواصل أيضا الموسوعة فنقول] وقد نهض علماء اليونان (قبل الميلاد بمئات السنين) بالناحية النظرية، ومن بينهم طاليس (٥٤٠ ق م) وفيثاغورس (٥٠٠ ق م) وأرسطو وخوس (القرن ٣ م أي قبل الإسلام بـ ٩ قرون) الذي اتخذ الشمس مركزا للكون ... وينقسم علم الفلك إلى عدة أقسام: منها الفلك الديناميكي: ويبحث في الحركات الذاتية للنجوم والمجموعة الشمسية.

[وتواصل الموسوعة الحديث فائلا] وكان التقسيم عند القدماء، وخاصة العرب (قبل زمن محمد) ثلاثة أقسام نظري وعملي وتنجيم ... ومن أهم المراجع التي اعتمدوا عليها: كتاب **السند هند** وهو في الحقيقة خمسة مؤلفات هندية قديمة ... وكذلك على كتاب **لبطليموس** عالم الاسكندرية (٣٢٣ ق م)، وهو في الحقيقة الدستور الذي الذي سار على هديه **فلكيو العرب** [معنى هذا أن العرب قبل محمد كان لهم معرفة بالفلك والنجوم] .

القسم الثالث: لماذا أقسم الله بمواقع النجوم؟

يتساءل الدكتور النجار عن سبب قسم الله بمواقع النجوم، وحاول أن يلبس كلمة **مواقع** ثوبا علميا حديثا. وأحب أن أسأله ببساطة إن كان يدري سيادته عن **مواقع عبادة النجوم بالجزيرة العربية** أم يتجاهل ذلك؟ إذن فليسمع قول الإمام **الشهرستاني** في (كتاب الملل والنحل) أن النجوم والكواكب كانت معبودات للأمة في الجزيرة العربية

كلها ، فقد كان لكل قبيلة واحد منها: فكانت قبيلة حمير تعبد الشمس، وجزام تعبد المشتري، وقيس تعبد الشعري، وأسد تعبد عطار، وقد كانت الكعبة معبدا لزلحل.

ألا يدري الدكتور العالم النجار سبب القسم بمواقع النجوم في قول القرآن الكريم "فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسم لو تعلمون عظيم" (الواقعة ٧٥ و٧٦) الواقع أن محمداً في بداية دعوته أراد أن يجذب سكان الجزيرة لدعوته بالتقرب إلى النصارى واليهود وأتباع المعبودات الأخرى الموجودة في الجزيرة العربية.

ومما يثبت هذا الرأي، أنه جاء في هذه السورة نفسها (سورة النجم ١٩ و ٢٠) قوله: (أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى) وهي معبودات من الأصنام، وأضاف كلاماً ذكر عنه الإمام النسفي والجلالان ما يلي:

(١) الإمام عبد الله ابن أحمد النسفي المتوفي سنة ٧١٠هـ: "إنه عليه السلام كان في نادي قومه [أي في مجلسهم] يقرأ سورة "والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم [أي محمد] وما غوى" فلما بلغ قوله: (أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى) جرى على لسانه (أي أضاف) "تلك الغرائيق العلى [أي: الرائعة الجمال، العالية المقدار] وإن شفاعتهن [أي وساطتهن] لترتجى" قيل: فنبهه جبريل عليه السلام، فأخبرهم أن ذلك كان من الشيطان ... (تفسير النسفي الجزء الثالث ص ١٦١)

(٢) وقد جاء في تفسير الجلالين: أنه عندما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم في سورة النجم بمجلس من قريش، بعد الكلمات "أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى" ما ألقاه الشيطان على لسان الرسول من غير علمه، صلى الله عليه وسلم: "تلك الغرائيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى" ففرحوا بذلك. ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه، فحزن، فسلى (تعزى) بهذه الآية.

ألا تدرك معي أيضاً محاولة الرسول استرضاء القبائل العربية بالجزيرة بتعظيم معبوداتهم تماماً مثلما قال عن الصابئة وهم أيضاً عباد النجوم والكواكب (المعجم الوسيط للمجمع اللغوي الجزء الأول ص ٥٠٥) إذ قال: في (سورة المائدة: ٦٩) "إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون" وأيضاً: في (سورة البقرة: ٢: ٦٢)

فمواقع النجوم يقصد بها الأماكن التي يعبدون فيها النجوم. وقد تهرب من القسم بالنجوم حتى لا يتهم بأنه يعبدها نظيرهم.

القسم الرابع: رؤية مواقع النجوم، لا النجوم ذاتها:

أما محاولة الدكتور زغلول النجار أن يلبس هذا اللفظ ثوب الاكتشافات العلمية الحديثة ليرقى بها إلى حد التنبؤ والإعجاز العلمي!! بقوله: "إن الإنسان من فوق سطح هذه الأرض لا يمكن له أن يرى النجوم على الإطلاق، ولكنه يرى مواقع مرت بها النجوم" (من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص ٣٩)

ظاناً أن هذه الحقيقة العلمية كان أول من تكلم عنها هو القرآن الكريم. نقول له: لقد تكلم الكتاب المقدس علة حركة النجوم الدائمة بصورة بلاغية رائعة إذ قال إنها "نجوم تأنه" (يهوذا آية ١٣)

وبالرغم من وجود كل تلك الحقائق في الكتاب المقدس قبل القرآن الكريم بستة قرون إلا أننا لم ولن ندعي أن الكتاب المقدس فيه إعجاز علمي. ولكننا نركز دائماً على أن الكتاب المقدس هو كتاب روحي يقدم للإنسان ما يحتاج إليه من غذاء روحي، وإرشاد لمسيرته الروحية نحو الله المحب.